هل من الممكن معرفة يسوع اليوم؟

تأليف: تومي ثاوس

خلال اللقاءات أحياناً، قد يُسأل الشخص: «من في التاريخ تتمنى لقاءه؟» وعادة ما تكون الإجابة: «يسوع». وهذا بسبب الأشياء الملفتة للنظر التي يخبرنا بها الكتاب المقدس وكتب التاريخ عن يسوع. انه شخص يريد معظمنا لقاءه.

المعرفة عن شخص ما تختلف تماماً عن معرفة ذلك الشخص. عندما ندرس التاريخ نتعلم كثيراً عن الناس الذين عاشوا في الزمان الماضي، ولكن لا يعني هذا اننا نعرفهم. لقد ركزت هذه الدراسة عما يمكننا معرفته عن يسوع. لقد طرحنا أسئلة تاريخية عنه قد نطرحها عن أي شخصية تاريخية أخرى هامة: ما هي مصادر المعلومات التي تخبر عنه، متى عاش وأين، وكيف؟؛ ما هي اللغة/اللغات التي تحدث بها؛ ماذا كان يعتبر نفسه؛ ما الذي كان يؤمن به؛ وكيف مات؟ عند دراستنا ليسوع، ينبغي أن نطرح أيضاً السؤال ما إذا كان قد قام من بين الأموات حقاً أم لا.

لقد وصلنا الآن إلى سؤال يريد لنا كُتَّاب العهد الجديد (مصادرنا الأساسية للمعلومات عن يسوع) أن نطرحه: هل يمكن معرفة يسوع في يومنا هذا؟ في حين أن هذا ليس سؤالاً تاريخياً بالتحديد، إلا انه يُطْرَح بسبب ما يخبرنا به تاريخ يسوع–وخاصة كونه قام من بين الأموات وما زال حياً في السماء. إن كانت هناك أي حقيقة في هذا، يمكننا إذن معرفة يسوع–وليس مجرد المعرفة «عنه». يدخل هذا في عالم اللاهوت والقناعة الشخصية، أي أشياء لا يمكن إثباتها بشكل قاطع بواسطة القنوات المعتادة لدراسة التاريخ. إن كان ما تعلمناه عن يسوع صحيح، إذن لا بد من طرح هذا السؤال. المصادر التي تخبرنا عن يسوع هي نفسها التي تقول انه يمكننا معرفته. إلى جانب ذلك، ليست الأسئلة التاريخية هي وحدها التي تستحق الطرح، أليست كذلك؟

يقول إنجيل يوحنا أن يسوع صلى إلى أبيه قبل وقت قصير من صلبه:

> أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ (يوحنا ١٧: ١-٣).

حسب كلام يسوع نفسه، يمكن معرفته ومعرفة الله أيضاً. هذه هي «الحياة الأبدية»: أن تعرف من هو الله حقاً «برؤيته» في شخصية ابنه يسوع (يوحنا ١: ١٤-١٨). لم يكن يتحدث عن معاصريه، إذ صلى في وقت لاحق من هذه الصلاة لأجل الذين سيؤمنون به بواسطة كلام تلاميذه (راجع يوحنا ١٧: ٢٠).

انه ما زال معنا

لم يكن يوحنا الكاتب الوحيد من كُتَّاب العهد الجديد الذي قال انه يمكننا أن نعرف يسوع اليوم. قال لوقا لثاوفيلس في بداية إنجيله: «رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا ... أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ» (لوقا ١: ٣ و٤). استمر لوقا في كتاب أعمال الرسل بهذه الفكرة: «اَلْكَلاَمُ الأَوَّلُ أَنْشَأْتُهُ يَا ثَاوُفِيلُسُ، عَنْ جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ، بَعْدَ مَا أَوْصَى بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الرُّسُلَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ» (أعمال ١: ١ و٢). لاحظ أن لوقا قال «اَلْكَلاَمُ الأَوَّلُ» (أي إنجيل لوقا) كان «عَنْ جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ». كان لوقا يعتبر أن القصة لم تنتهي بعد لأن يسوع لم يكن قد أنهى بعد. يصف كتاب أعمال الرسل ما استمر يسوع يفعل ويعلم به بواسطة وجود الروح القدس–حضوره الروحي مع أتباعه بعد رجوعه إلى السماء (أعمال ١: ٦-١١).

حسب ما كتبه لوقا، كان أول ما قاله يسوع لتلاميذه بعد قيامته من بين الأموات هو بخصوص مجيء الروح القدس «مَوْعِدَ الآبِ» {«أي: الذي وعد به الآب»}، والذي كان سيحل عليهم بعد وقت قريب (أعمال ١: ٤ و٥). عندما نقرأ كتاب أعمال الرسل، نتعلم ما استمر يسوع يفعل ويعلم به خلال حضور الروح القدس مع شعبه.

بما انه هكذا كان الحال، فيبدو من المعقول أن يكون كتاب أعمال الرسل مكان مناسب للنظر فيه لإيجاد إجابة على سؤالنا هذا: «هل من الممكن معرفة يسوع اليوم؟»

من «المعرفة عنه» إلى معرفته

مجيء الروح القدس الذي وعد به يسوع في الأصحاح ١ من كتاب أعمال الرسل تم تحقيقه في الأصحاح التالي. كان ذلك في مناسبة عيد «الخمسين» عند اليهود، (يُسَمَّى بعيد «الخمسين» لأن الاحتفال به كان يتم بعد خمسين يوم من عيد الفصح). كان يسوع قد صُلِب وقت عيد الفصح وبعد خمسين يوم أمتلأت أورشليم بالزوار الذين تجمعوا في مدينة أورشليم للاحتفال بعيد الخمسين. كان تلاميذ يسوع هناك أيضاً، كما أوصاهم أن يكونوا هناك. وفاجأتهم بغتة ثلاث ظواهر أشارت إلى مجيء الروح القدس. بدأ بصوت كما من هبوب ريح شديد. ثم ظهر شيء مثل لهيب نار فوق رؤوسهم، وبعد ذلك تبارك الرسل بقوة عجائبية ليتكلموا بلغات لم يتعلموها من قبل (راجع أعمال ٢: ٨، ١١ للدلالة على أن تلك كانت لغات حقيقية للبشر التي أُسْتُخْدِمَت للكلام «بِعَظَائِمِ الله!»).

وبطبيعة الحال جذبت كل هذا جمع غفير. أراد الناس أن يعرفوا ما كان يدور. لم تكن تلك الظواهر «الحدث الرئيسي» في يوم الخمسين، إذ كان لا بد من ترجمتها. كان هناك شيء أكثر من ذلك، فقام بطرس ووقف يخبر الناس عما كان ذلك. قال لهم أن الحدث الذي كانوا يشاهدونه كان قد تنبأ به يوئيل النبي قبل عدة قرون من ذلك الزمان؛ كان ذلك تتميماً لوعد الله بانه في يوم ما سيسكب من روحه على جميع البشر، وليس على الأنبياء والملوك ورؤساء الشعب الأسرائيلي فقط (أعمال ٢: ١٤-٢١). والآن سيكون الروح (أي وجود الله) متاح للجميع. بعد ما فسر بطرس ذلك، انتقل سريعاً إلى خلاصة ما عمله يسوع، الأعمال العظيمة التي عملها الله بواسطته، كيف أُسْلِم ليُصْلَب، وكيف أن الموت لم يكن نهاية قصته. قال بطرس أن الله أقام يسوع من بين الأموات، وقد بين هذه الحقيقة بإقتباسات من المزمورين ١٦: ٨-١١ و١١٠: ١ (أعمال ٢: ٢٢-٣٥). في ما يلي ذروة خطبته: «فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا» (أعمال ٢: ٣٦).

لا بد أن مثل هذه الرسالة كانت مثيرة للقلق بالنسبة للذين استمعوا إلى بطرس في ذلك اليوم، وخاصة انه كان يتهمهم بانهم الذين سببوا في موت يسوع. علاوة على ذلك، لم يكن يسوع من يدعي بأنه المسيح كما كانوا يعتبرونه، بل كان بالحقيقة مسيح الله وربا. ليس غريباً انهم سألوا بطرس والرسل الأخرين وقالوا: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟» (الآية ٣٧). جاءت إجابة بطرس بلا لبس: «تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (الآيَةَ ٣٨). قال بطرس أن الذين يتوبون يتعمدون باسم يسوع ينالون الروح القدس. أي بعبارة أخرى، سيكون حضور المسيح معهم أيضاً. المسيح الذي صلبوه قد قام الآن وسيكون دائماً مع الذين يؤمنون به ويتبعون تعاليمه. لاحظ أيضاً أن إجابة بطرس على سؤالهم عن كيفية الحصول على الخلاص ربطتهم مباشرة مع الرسالة عن يسوع التاريخي؛ كان هو الشخص الذي ينبغي أن يؤمنوا به، والذي كان ينبغي أن يطيعوه. هكذا كان يجب أن «يعرفونه»: بواسطة الرسالة عنه وحضور الروح القدس فيهم. عندما تلقى أول الذين ليسوا يهوداً هذه الرسالة، حل الروح القدس مرة أخرى مما يدل على انهم كانوا مقبولين لدى الله. (بالنسبة للسامريين، {المندمجون مع اليهود}، حدث ذلك في المناسبة الواردة في أعمال ٨: ١٤-١٦؛ ونال الأمم هذا في الحدث المذكور في أعمال ١٠: ٤٤-٤٨؛ ١١: ١٥-١٨).

يتم نيل الروح القدس كنتيجة مباشرة لسماع رسالة الإنجيل عن يسوع والإيمان بها وطاعتها. وقد تم وضع

التوكيد على هذا في أعمال ٥: ٣٢، حيث أتوا ببطرس والرسل الآخرين إلى أمام سلطات اليهود وهددوهم ألا يعودا يتكلموا عن يسوع في ما بعد. أجابوا أولاً: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» (أعمال ٥: ٢٩)؛ وبعد ذلك قالوا: «وَنَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهذِهِ الأُمُورِ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ» {الآية ٣٢}. لم يأتي الروح (أي حضور يسوع) من مجرد المعرفة عنه، ولم يكن نتيجة لاختبار عاطفي. بل هو نتيجة لقبول رسالة يسوع كونها حقيقة وطاعة ما أوصى به الرسل (أي التوبة والمعمودية باسم يسوع). عندما صرح الرسل بهذا الكلام كانوا يفعلون فقط ما أوصاهم يسوع سابقاً بان يفعلوا:

> فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى ٢٨: ١٩: ٢٠).

«بولس يقابل يسوع»

قلنا في وقت سابق أن احدى المصادر التاريخية الأكثر أهمية عن يسوع هو بولس الذي يسمي نفسه بـ«رسول للأمم» (راجع رومية ١١: ١٣؛ ١ تيموثاوس ٢: ٧) لأنه كان يؤمن بان الله قد اختاره ليأخذ قصة يسوع إلى الذين هم خارج حدود اليهودية (أعمال ٩: ١٥؛ غلاطية ١: ١٥ و١٦؛ ٢: ٩). عندما إلتقينا بولس لأول مرة في كتاب أعمال الرسل، لم يكن بولس الرسول؛ بل كان شاول الطرسوسي مضطهد عنيف للإيمان المسيحي الجديد (كما اعترف هو بذلك؛ غلاطية ١: ١٣). وذلك عندما لم يكن يعرف يسوع. عندما ظهر يسوع لبولس بينما كان في طريقة ليضطهد المؤمنين، سأله بولس: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» (أعمال ٩: ٥). مرت ثلاثة أيام قبل أن يفهم ماذا يكون كل هذا بالنسبة له. جاء إليه إنسان اسمه حنانيا وقال له أن الرب يسوع الذي ظهر له في الطريق قد أرسله ليضع يديه عليه لكي يبصر ويمتليء من الروح القدس (أعمال ٩: ١٧ و١٨). عندما تحدث بولس (كما يسمى من أعمال ١٣: ١٣ وصاعداً) مرة أخرى في وقت لاحق عن تلك الأحداث الهامة ذكر كيف أوصاه حنانيا قائلاً: «وَالآنَ لِمَاذَا تَتَوَانَى؟ قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِيًا بِاسْمِ الرَّبِّ» (أعمال ٢٢: ١٦). هكذا عرف بولس يسوع.

التعرف على يسوع لم يكن قد انتهى بالنسبة لبولس. أشار في رسالته إلى المسيحيين في مدينة فيلبي الأغريقية إلى أن معرفة يسوع كان شيء يختبره، بل ويرغب في معرفته أكثر فأكثر. كان بولس يحذر المسيحيين في فيليبي أن يتجنبوا الذين يحاولون أن يقولوا لهم أن إتباع يسوع لا يفي بالغرض؛ وكانوا يحاولون إضافة شريعة اليهود (الختان بصفة خاصة) إلى رسالة المسيح. (كان ذلك مشكلة شائعة في الأيام المبكرة للمسيحية؛ راجع أعمال ١٥؛ ١-٥؛ غلاطية ٥: ١-٦). بعد ان أوضح بولس في الرسالة إلى أهل فيلبي ٣: ٤-٦ بانه كان كأي يهودي آخر، قال:

> لكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ. لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ، لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ.
>
> لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ (فيلبي ٣: ٧-١٢).

لقد قال بولس انه يعرف المسيح وبانه يريد أن يعرف المسيح أكثر. يبدو انه اعتبر أن معرفة المسيح كشيء يختبره في الزمان الحاضر وهدف يسعى إليه دائماً. لم تكن المعرفة عن المسيح كل ما يرغب فيها بولس (على كل حال، كان قد رأه؛ راجع ١ كورنثوس ٩: ١)، بل معرفه المسيح. وأشار إلى أن هذه المعرفة

العظيمة لربه تاتي بواسطة التمثل به أكثر فأكثر وخاصة عندما يشارك في آلام المسيح بالاستمرار في نشر الخبر السار/البشارة عنه. كان ذلك بعد الكثير من الجهد (راجع فيلبي ١: ١٢-٣٠).

علاقة مستمر

كما قد رأينا في مثال بولس، لقاء يسوع ليس حدثاً يقع مرة واحدة. ليس شيء يحدث لنا ومن ثم ننصرف عنه. كيف يمكن لنا أن نعمل ذلك؟ بل معرفة يسوع تغير الحياة.

كتب يوحنا رسالته الأولى في أواخر القرن الأول الميلادي إلى جماعة من المسيحيين الذين كانوا يعانون صراع مأساوي. كان عليهم أن يحترسوا من بعض المؤمنين الذين كانوا ينكرون أن يسوع والمسيح هما الكينونة نفسها (شبيه بوجه النظر الغنوسطي[١]). وأيضاً، كان أولئك المعارضون للكنيسة قد تركوا طريقة الحياة التي علمها يسوع ومالوا إلى طريقة حياة غير اخلاقية. ونتيجة لذلك، قال يوحنا الرسول انهم لم يعرفوا يسوع.

> وَهذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ. وَلكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا. ... مَنْ قَالَ: «قَدْ عَرَفْتُهُ» وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ (١ يوحنا ١: ٥ إلى ٢: ٤).

حسب ما قال يوحنا، وحسب ما قال بولس أيضاً، «معرفة يسوع» معناها «أن نسلك بالكيفية نفسها التي سلك هو بها» (أن نحيا كما عاش هو) وكما علم أتباعه أن يسلكوا (١ يوحنا ٢: ٦). هذا يعني أن «معرفة يسوع» ليست مجرد الشعور ببعض الأحاسيس عنه أو التطلع على بعض المعرفة الصوفية، بل هي الحياة في حضرته بالطريقة التي يوجهها. توجد التوجيهات في وثائق العهد الجديد، مثل رسالة يوحنا الأولى ورسائل بولس والأناجيل (الوثائق نفسها التي تخبرنا عن يسوع نفسه).

معرفة لا نهاية لها

وعد يسوع بان علاقتنا معه لا تنتهي بما نختبره في هذه الحياة. بل قال انه عندما نعرفه، ننتمي إليه. سيجيء ثانياً ويأخذنا معه، ولنكون معه في السماء إلى الأبد. قال يسوع لتلاميذه الذين اضطربوا اضطراباً عميقاً عند فكرة مغادرته (موته) ما يلي:

> لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا (يوحنا ١٤: ١-٣).

عندما قال أحدهم الذي يُدعى توما انهم لم يعرفوا الطريق حيث كان يسوع ذاهب، أجابه يسوع قائلاً: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يوحنا ١٤: ٦). لا نحتاج إلى القدرة على حل مجموعة معقدة من التعاليم لكي نكون مع يسوع؛ ليس علينا إلا أن نتبعه.

يشير العهد الجديد إلى انه من الممكن معرفة يسوع، وليس المعرفة عنه فقط. نعرفه عن طريق رسالة حياته وموته وقيامته. نعرفه بطاعتنا لتلك الرسالة بالإيمان والتوبة والمعمودية. نعرفه بروحه الذي أتي وسكن فينا، ونعرفه بان نحيا بالطريقة التي علم بها وكما عاش هو نفسه. إن كنا نعرفه، نحيا معه إلى الأبد في السماء.

---

[١] غنوسطي «Gnostic»: ما ينتمي إلى الغنسطيون (أي العارفون)، وهم جماعة من المسيحيين كانوا يؤمنون بان المادة شر وبان الخلاص يأتي من المعرفة الروحية السامية دون الإيمان. ويسمى مذهبهم بالغنوسطية «Gnosticism».

في ما يلي كلمة تحذيرية: لقد رأينا أن الذين عرفوا يسوع وتبعوه في القرن الأول تغيروا تغيراً كبيراً من خلال تجاربهم. لدينا كل الأسباب باننا أيضاً سنتغير (حقاً نحتاج إلى التغيير، وينبغي أن نتغير). معرفتك ليسوع ستغير حياتك.

أأنت مستعد لمعرفته؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠